قصة

رسول الحسين

مسلم بن عقيل

بقلم : الاستاذ حسن الجواهري امين المكتبة العامة
في النجف الاشرف

بعد ان توالت الكتب على الحسين عليه السلام من قبل وجوه اهل الكوفة واعيانهم يطلبون فيها توجهه الى الكوفة لمبايعته تخلصاً من شر يزيد وحكمه الجائر اخذ ينظر ملياً للامر الذي لامرد له اذ كيف يتوانى عن النجدة ويتغافل عن المعونة لمن اصبح لايرى مخلصاً له من وهدة الضلال وحضيض الذل غير الاستعانة به والتمسك بشخصه الكريم لاسيما وان يزيد لم يترك مجالا للصبر بما اظهره من سياسة رعناء لاتتفق بشيء من مبادئ الدين الاسلامي الحنيف وما ابداه من مظاهر التجبر والكبرياء مايتنا في وطبيعة العرب الذين فطروا على الحرية ونشأوا على الاستقلال تحت راية القرآن الكريم. اجل لقد اخذ ينظر نظراً بعيداً كله جد وكله حكمة لذلك الامر الخطير الذي سيغير مجرى التاريخ ويفصل بين الظلم والعدل والنوم واليقظة والحكمة والرعونة بفاصل من مبادئه العلوية السامية وآنذاك تسير سفينة الاسلام آمنة مطمئنة في خضمها الواسع المتلاطم الامواج. فلم يريداً من اجابة الطلب ولكنه اراد ان يختبر القوم بواسطة رسول يرسله اليهم مزوداً بالعلم والتقوى والشرف والشجاعة وما الى ذلك من الصفات العاليه لكي يرى مبلغ ماعندهم من صدق واخلاص وصراحة. وكان مسلم بن عقيل ابن ابي طالب عليهم السلام حاوياً لكل هذه الصفات المذكورة لاسيما وانه يتصل بالحسين عليه السلام بصلة رحم قريبة جداً ومتينة تقدمه على غيره لحمل تلك المسئولية العظمى والاضطلاع باعبائها الثقيلة فعرض عليه هذا الامر واخذ رايه فيه فاستصوبه مسلم واقره عليه وسرعان ما حمل كتابه وتوجه الى الكوفة وظل الحسين ينتظر نتيجة ماسيجيء به الغد من امور جسام.

مشى مسلم الى الكوفة ونزل في دار المختار بن ابي عبيد فكانت الشيعة تختلف اليه فيقرأ عليهم كتاب الحسين «ع» فبايعه من الناس ثمانية عشر الفاً. وكان امير الكوفة النعمان

الحائط بالمواثيق المكتوبة والاقوال التي لاتزال صداها يرن في آذان الدنيا. نعم ما أحوجنا وقد أحاط بنا الخطر الدائم يهددنا في عقر ديارنا الى المسارعة لرفع راية الجهاد في وجه اولئك الذين يريدون اذلالنا وغمط حقوقنا مما تأباه الطباع والسجايا العربية كل الاباء مقتدين بامام المجاهدين الحسين في جهاده الاعظم وتضحيته الكبرى فان نحن فعلنا فلابد لنا من احدى الحسنين :-

عش عزيزا اومت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

بهذا وحده نستطيع ان نحيا رافعي الرؤوس موفوري الكرامة ولنا منزلتنا المرموقة تحت الشمس متمتعين بحريتنا كاملة غير منقوصة. وقد احاطنا مجدنا بسياج منيع من اموالنا ونفوسنا لايريد بأحد شراً إلا ان يبادئنا بشر ونساهم في بناء السلم ونشر الحضارة وتعميم العدل كما كنا من قبل. وهذا هو نمن المجد فلنبذل له عن طيب خاطر.

المجد صدق واخلاص وتضحية في عفة ومفاداة وايثار والمجد صبر على عري ومسغبة والمجد جهد باموال واعمار والمجد حبس وتشريد ومشنقة والمجد احلاؤه في كل امرار فهل انتم مستعدون ياشباب العرب؟؟..

البصرة — احمد حمد آل صالح

ابن بشير فلما بلغه ذلك صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

اما بعد فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال واني لا اقاتل الا من يقاتلني ولا اثب الا على من وثب عليّ ولكنكم ان ابديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم فو الله لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي :

وكان النعمان حليماً تقياً فقال له احد شيعة بني امية « هذا راي المستضعفين » فقال له النعمان ان اكون من المستضعفين وانا في طاعة الله احب الي من ان اكون في معصيته فكتب هذا الى يزيد بن معاوية بالأمر واخبره بقدوم مسلم بن عقيل الى الكوفة ومبايعة الناس له وكتب اليه غيره بمثل ذلك فلما تواترت الكتب على يزيد بهذا المعنى اخذ يهتم له اهتماماً بالغاً كانت نتيجته تولية ابن زياد على الكوفة فقدمها في صباح يوم شديد الحر عظيم القيظ وفي ركابه وجوه اهل البصرة واعيانهم وكان ملثماً بالصورة التي جعلت أهل الكوفة يظنون ركابه ركاب الحسين عليه السلام لانهم كان قد بلغهم بانه قادم اليهم لذلك كان فرحهم عظيماً وعظيماً جداً .

ومشى ابن زياد الى دار الامارة وهو لا يكلم احداً من الناس وقد راى من تباشرهم بالحسين ماساءه . وفي صباح اليوم التالي اجتمع الناس للصلوت فخرج اليهم وصعد المنبر ثم قال . اما بعد فان امير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وامرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وانا متبع فيكم امره فانا لمحسنكم كالوالد البر وسوطي وسيفي على من ترك امري وخالف عهدي .

ولما سمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله الى الكوفة ومقالته التي قالها وما اخذ به العرفاء والناس خرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة الى دار هانيء بن عروة المرادي وكان من اشراف اهل الكوفة ودخل في بابه وارسل اليه : اتيتك لتضيفني وتجيرني . قال له هذا لقد كلفتني شططاً لولا دخولك داري وثقتك بي لاحببت ان تنصرف لشأنك غير انه لزمني من ذلك ذمام ادخل فدخل . وهنالك وجد اقبالا عظيماً عليه ولاقى قبولا واستحسانا لمبايعة الحسين فكتب الى ابن عمه يقول :

اما بعد فان الرائد لا يكذب اهله . وقد بايعني من اهل الكوفة ثمانية عشر الفا فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي فان الناس كلهم معك . ليس لهم في آل معاوية راي ولا هوى والسلام .

وراح بن زياد يتعقب مسلماً بجواسيسه وحركاته الشيطانية بكل ماوتيه من دهاء حتى افسد الامر عليه وصرف النفوس عنه وتركه وحيداً فريداً بلا ناصر ولا معين وتلك هي شيمة الدهر الخؤون وطبيعة الايام الغادرة . فلما ضاق به الامر وطاردته عناصر السوء بما تحمله من حقد وسلاح التجأ الى حي كندة فانتهى الى باب امرأة يقال لها طوعة ام ولد كانت للاشعث بن قيس فاعتقها فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال خرج مع الناس وامه تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه فقال لها : يا امة الله اسقني ماءاً فدخلت وسقته وادخلت الاناء ثم خرجت وهو جالس مكانه فقالت يا عبد الله الم تشرب قال . بلا قالت اذهب الى اهلك فسكت . ثم عادت فقالت مثل ذلك فسكت . ثم قالت مر الى اهلك عافاك الله فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا احله لك . فقام وقال يا امة الله مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك في اجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد اليوم فقالت وما ذاك قال انا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني وخذلوني فادخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تسكن فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج منه فقال والله لتريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه ان لك لشأناً فقالت له لا تسألني عن شيء فالح عليها فقالت : يا بني لا تحدث ن احداً من الناس بما اخبرك به واخذت عليه الايمان فحلف لها فاخبرته فقصد الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث واخبره بمكان ابن عقيل عند امه فاقبل عبد الرحمن حتى اتى اباه وهو عند ابن زياد فسازه فسأله ابن زياد . قال اخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا فنخس بالقضيب في جنبه وقال قم فاتني به الساعة وبعث الى عمر بن حريث خليفته على الناس ان ابعث مع ابن الاشعث ستين او سبعين رجلا كلهم من قريش . فسار بن الاشعث ومعه عبيد الله ابن العباس السلمي في ستين او سبعين رجلا من قريش حتى اتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل فلما سمع وقع حوافر الخيل

واصوات الرجال علم انه قد اتى فخرج اليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشد عليهم فلما رأوا ذلك اشرفوا عليه من فوق ظهر البيت واخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في اطنان القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيت فلما راى ذلك خرج عليهم مصلتاً سيفه فقاتلهم في السكة فاقبل عليه محمد بن الاشعث وقال له . يابني لك الامان لاتقتل نفسك . وكان مسلم قد اثخن بالجراح وعجز عن القتال فاسند ظهره الى جنب تلك الدار فاعاد ابن الاشعث عليه القول لك الامان . فقال : آمن انا. قال نعم وامنه القوم ايضاً. فقال لهم اما لو لم تؤمنوني ماوضعت يدي بايديكم واتى ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا حوله ونزعوا سيفه فيئس عند ذلك من نفسه ودمعت عيناه ثم قال هذا اول الغدر . قال محمد بن الاشعث ارجو ان لايكون عليك بأس فقال وما هو الا الرجاء اين امانكم انا لله وانا اليه راجعون . وبكى. فقال له عبد الله بن العباس السلمي . انمن يطلب مثل الذي تطلب اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك فقال اني والله مالنفسي ابكي ولالها من القتل ارثي ولكن ابكي لاهلي المقبلين اليكم . ابكي للحسين وآل الحسين . ثم قال لمحمد بن الاشعث: اني اراك ستعجز عن اماني فهل عندك خير تستطيع ان تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ حسيناً فاني لااراه الا وقد خرج اليكم اليوم مقبلا او خارج غداً هو واهل بيته وليقل له انه بن عقيل بعثني اليك وهو اسير في ايدي القوم لايرى انه يمسي حتى يقتل فارجع فداك ابي وامي باهل بيتك ولا يغرك اهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل .

ان اهل الكوفة كذبوك وليس لمكذوب رأي .فقال ابن الاشعث والله لافعلن . ولأعلمن بن زياد اني قدا منتك ثم أقبل به الى باب القصر فاستأذن فاذن له فدخل على بن زياد واخبره خبر بن عقيل وما كان من امانه فقال له عبيد الله وما انت والامان كأنا ارسلناك لتؤمنه انما ارسلناك لتأتينا به . فسكت بن الاشعث وانتهى بابن عقيل الى باب القصر وقد اشتد به العطش وعلى باب القصر اناس ينتظرون الاذن واذا قلة فيها ماء بارد موضوعة على الباب فقال مسلم بن عقيل اسقوني من هذا الماء فقال مسلم بن عمرو : اتراها مابردها والله لاتتذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم فقال له

ن عقيل ويلك من انت قال انا من عرف الحق اذ انكرته ونصح لامامه اذ غششته واطاعه اذ خالفته انا مسلم بن عمرو الباهلي .فقال له مسلم . لامك الثكل مااجفاك وافضك واقسى قلبك . ثم جلس وتساند الى حائط . وبعث عمارة بن عقبة غلاماً له فجاء بقلة عليها منديل وقدح فصب فيه ماءاً وقال له اشرب . فاخذ كلما شرب امتلأ القدح دما من فيه فلايقدر ان يشرب ففعل ذلك مرة ومرتين ولما ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح فقال . الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته . وخرج رسول ابن زياد فامر بادخاله اليه فلما دخل لم يسلم عليه بالأمرة فقال له الحرسي الا تسلم على الأمير فلم يرد عليه فقال ابن زياد لعمري لتقتلن قال كذلك قال نعم . قال فدعني اوصي الى بعض قومي قال افعل . فنظر الى جلساء عبيد الله وبينهم عمر بن سعد بن ابي وقاص فقال ياعمر ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهي سر . فامتنع عمر ان يسمع فقال له عبيد الله.لم تمتنع ان تنظر في حاجة بن عمك فقام معه وجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد فقال مسلم له ان علي بالكوفة دينا استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فبع سيفي ودرعي فاقضها عني واذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها وابعث الى الحسين من يرده فاني قد كتبت اليه اعلمه ان الناس معه ولا اراه الا مقبلاً . فقالا عمر لابن زياد انه قال كذا وكذا ، فاجاز ابن زياد ذلك كله وقال ان الامين لايخونك ولكن قد يؤتمن الخائن اما مالك فهو لك ولسنا نمنعك ان تصنع به ماأحببت واما جثتك فلا نبالي اذا قتلناك مايصنع بها واما حسين فان هو لم يردنا لم نرده ثم قال له يابن عقيل اتيت الناس وامرهم مجتمع فشتت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض قال كلا لست الى ذلك اتيت ولكن اهل هذا المصر زعموا ان اباك قتل خيارهم وسفك دمائهم وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر فاتيناهم لنأمر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة . فقال له بن زياد وما انت وذاك يافاسق قتلني الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها احد في الاسلام.فقال مسلم اما انك احق من احدث في الاسلام مالبس فيه . وانك لاتدع خبث السيرة ولؤم القيلة وقبح المثلة فاقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعليا وعقيلا عليهم السلام . ثم امر ان يصعدوا به الى فوق

تنكيلا لامثيل له . واستشهاد الحسين اظهر لنا الحياة في الاسلام ولولم يضح الحسين بمنفعة الشخصية في سبيل انعاش الاسلام فان هذا الدين الذي يؤمن به ثلث سكان العالم الآن لم يكن له اي اثر في الوجود ، والمسلمون انما هم مدينون للحسين لانه قد انقذ الاسلام في تلك اللحظات الحرجة التي حارب خلالها من اجل اعلاء كلمة الحق ، ولذا فمن الواجب ان نحي ذكراه على الاقل مرة واحدة في السنة اثناء المحرم ونركز شعور الاحترام والتبجيل نحو شخصية هذا الرجل النبيل الشجاع العادل

قال الامام الحسين لاحد اصحابه « هذه القوات التي تحاصرنا الآن لا تطلب إلا حياتي وستكون مسرورة بوفاتي، ابتعد عني لانك ستدمر واتركني وحدي لأنال ماقدر لي » فصاح اخوه العباس « حاشا لله ان نعيش من بعدك » وكانت كلماته هذه صدى لما كان يتردد في ادهان الآخرين وعندما رأى الحسين ان هذه الجماعة الصغيرة تعمل على انقاذه بدأ يعمل في ان يبيع حياتهم بثمن غال وان يصبح موتهم قربانا يستحق الذكر

وقد قضت هذه الجماعة الغيورة — التي كانت تشعر بأن اليوم التالي آخر ايام حياتها — طول الليل في الصلاة وهي محاطة بعدد من فرسان العدو لمنعها من الهرب وبدا الامام الحسين المعركة عند الفجر وكانت كل قوته مكونة من اربعين راجلا واثنين وثلاثين فارسا ، ولكنهم جميعا كانوا مملوئين بروح التضحية والاستشهاد ، واغلبهم قد قاتل بعد ذلك وسقط حول قائده المحبوب . وقد استمر (جيبون) في وصف مركز الحسين قائلا :

« واثناء فترة الليل بدا الحسين يجهز نفسه واهله في هدوء وسكينة لمواجهة حظه ونصيبه .. وقد جلس وهو متعب جريح وحيدا امام باب الخيمة . وبينما هو يتناول بعض الماء اذا اخترق فمه سهم وفي نفس الوقت قتل ابنه وابن اخيه وهما بين ذراعيه وقد رفع يديه الى السماء وهما مملوءتان بالدماء وقد اطلق من فيه الترحم على المستشهدين والدعاء للاحياء .

قال السيد امير علي « في كل قتال سواء كان قتالا منفردا اومع جماعة نجد ان شجاعة وجرأة اولاد السيدة فاطمة لاتغلب مطلقا ولكن نبال الاعداء قد اخذت تصطادهم من مكان بعيد آمن ، وقد سقط المدافعون واحد بعد الآخر حتى بقي اخيرا حفيد النبي « ص » وبعد ان جرح اخذ يزحف الى ان وصل الى شاطىء النهر ليتناول آخر جرعة من الماء ولكنهم ابعدوه عن الماء بسهامهم التي رموه بها ، وبينما هو يدخل خيمته مرة ثانية وطفله بين يديه رموه بسهم من الخارج فما كان من الاب الا ان رفع رأسه الى السماء وكانت حالته لاتساعد في ان يقف امام اعداء لارحمة عندهم وكان وحيدا متعبا فجلس امام باب الخيمة

وقد ذكر لنا التاريخ بانه اباح لنفسه السقوط من ظهر جواده عندما كان مجروحا جرحا مميتا تأكد من انه سوف يقضى عليه

ومرة ثانية اقتطف كلمات السيد امير علي فقد كتب « تحامل على نفسه ليشن هجوما يائسا عليهم فقذف بنفسه بين الاعوين الذين تقهقروا ، ولكنه بسبب كثرة الدماء التي فقدها سقط على الارض فهجم عليه الاعداء وقطعوا رأسه ومشوا على جثته وجعلوه عرضة للتنكيل كما كانت تفعل هند من قبل . وقد حملوا رأس الشهيد العظيم الى قلعة الكوفة وقد ضربه على الفم عبيد الله بن زياد عديم الانسانية بقطعة من الخيزران فقال احد المسلمين الكبار السن « وا أسفاه لقد رأيت شفاه رسول الله على هذه الشفاه » ... من هذا يمكن ان نفهم لماذا يظهر اشياع سيدنا علي وأولاده الحزن الشديد والغضب وقت استشهاد الحسين في كل سنة

الهند يومياي محمد علي سالمين

القصر ويضربوا عنقه. فقال لابن الاشعث لولا امانك ماسلمت قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك . فصعد به وهو يكبر الله ويستغفره ويصلي على رسوله ويقرأ اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخدعونا ، واشرفوا به على الناس وهم على باب القصر مما يلي الرحبة وضربوا عنقه فسقط راسه على الرحبة ثم القيت جثته الى الناس .

بمثل هذه الفواجع يحدثنا التاريخ فلا تملك دموعنا دون ان نريقها دماً وانفاسنا الا ونبعها شرراً وعواطفنا الا ونملأها اسى وحرقة . تلك فاجعة مسلم بن عقيل اردناها أن تكون قصة هذا العدد وعنوان جهاد الحركة الحسينية التي قوضت عرش يزيد وجعلته اثراً بعيد عين .

النجف

حسن الجواهري